﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ١٣﴾

[الفتح: 13]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

كتب الله الهلاكَ على المنافقين، والسَّعيرَ للكافرين

لمّا كان المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورَۢا﴾ أنَّ ذلك إنَّما كان بسبب كفرهم وعدم إيمانهم؛ جاء العطف على هذا التقدير بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾، ليعمَّ الحكمَ ويشملَ المخلّفين وغيرهم[1]. ويَحْتَمِلُ وجهًا آخَرَ في مُناسبة الآيتين، وهو أنَّ قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورَۢا﴾ لما تضمّن ذمّهم وبيان حالهم في سابق أمرهم، أتبعه الوعيد الصَّريح لهم، تنبيهًا إلى أنَّكم - بما أنتم عليه - من جملة من أُعدّت لهم النّار، فأنتم ممن شملهم هذا التَّهديد والوعيد الإلهي[2]، وذَكَرَ ما يَدُلُّ عَلَى أنَّهُم لَيْسوا بِمُؤْمِنينَ فَقالَ: ﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَعۡتَدۡنَا﴾: (عتد) أصلٌ واحدٌ يدُلُّ على حضورٍ وقُرْب، تقولُ: عَتُدَ الشَّيءُ، وهو يَعْتُدُ عَتادًا، فهو عَتيدٌ حاضرٌ، وقد أعتَدْناه، وهيَّأناهُ لأمرٍ إنْ حَزَب، ويقولون: هذا الفَرَسُ عَتَدٌ؛ أي: مُعَدٌّ متى شاءَ صاحبُه ركبَه[4]. وقولُه تعالى: ﴿أَعۡتَدۡنَا﴾؛ أيْ: أعدَدْنا.

2) ﴿سَعِيرًا﴾: (سعر) أصلٌ واحدٌ يدُلُّ على اشْتعالِ الشَّيءِ واتِّقادِه وارْتفاعِه، والسَّعيرُ: سَعيرُ النّار، واسْتعارُها: توقُّدُها، والسِعْرُ: التهابُ النّار، واسْتَعَرَ الحربُ واللُّصوص، نحو: اشْتعَل،

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 18/ 304.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 131.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 489.
(4) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عتد).

وناقةٌ مَسْعورةٌ، نحو: موقدَةٌ ومُهيَّجَةٌ، والسُّعارُ: حَرُّ النّار، ومنه قولُه تعالى هنا في الآية.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مَـنْ أعـرضَ عنِ الإيمانِ يُعاقبُ يـومَ الـقيـامـةِ بالنّيران

يقولُ ﷻ على سَنَنِ التهديدِ والزَّجرِ لهؤلاءِ المُنافقينَ من الأعرابِ، مُبيِّنًا سوءَ عاقبةِ الكفرِ والجحود: ومن لم يُؤمنْ باللّه منكم ومن سواكم، ولم يُقرّوا بنبوَّةِ رسولِه ﷺ فقد هيأنا لهؤلاءِ الكافرين نارًا مُسعَّرةً، قد أُضرمت، وأُعدَّت لتكون لهم مأوى وسكنًا.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنَى الواو ودلالتُها في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ﴾:

ارتـكـاسُـهـم في الـشـبـهـات قـد يُـفـضي بـهـم إلى الكفر

الواو للاستئناف؛ فهو كلامٌ مبتَدأٌ من جهتِه تعالى غيرُ داخلٍ في الكلام الملقَّن، مقرِّرٌ لبَوارِهم، ومبيِّنٌ لكيفيَّتِه؛ أيْ: ومَن لم يؤمن بهما كدأْبِ هؤلاءِ المخلَّفين[1].

ويجوز أن تكون جملةُ قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ اعتراضًا واردًا في ثنايا القول المأمور به الوارد في صدر الآيات من قوله: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ إلى قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وقد جاء هذا الاعتراض على سبيل التَّحذير، والتَّخويف من مَغَبَّةِ ما هم عليه من التَّخلُّف عن رسول الله ﷺ، وللتَّنبيه على أنَّ ما يَرْتَكِسون فيه من الشُّبهات والعِلَلِ الكاذبة، وما يُبدونه من المعاذير الواهية، قد يُفضي بهم إلى الكفر الصُّراح عياذًا باللّه.

ويَحْتَمِلُ أن تكون الواو عطفًا على قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ إلى آخره؛ فإنّه تعالى لمّا أشار إلى أنّ الغرض الأصليّ من إرساله ﷺ الإيمانُ باللّه ورسوله، وتعظيمُ دينه، والتَّنزيهُ عمّا لا يليق - مَدَحَ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 159.

المؤمنين أوّلًا، ثمَّ أتبعَهُ بذمّ المنافقين من المُخلَّفين، ثمّ بذمّ الكافرين عمومًا جهارًا؛ وهو ظاهرُ عبارة البِقاعيِّ[1]، فالواو "عاطفةٌ لتقرير بوارهم وبيان كيفيَّته"[2].

الغرض من التَّعبيرِ بجملة الشرط ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ﴾:

تأكيدُ عدمِ إيمانِ المخلَّفين في حقيقةِ الحال، واستحقاقهم العذاب إن ماتوا على ذلك

الغرضُ من التعبير بأسلوب الشرط إرساءُ القواعد الثابتة القائمة على تحقق الجزاء، إذا تحقق الشرط، فكلُّ مَنْ لم يؤمن، فجزاؤه جهنَّم وبئس المصير، وقد حُذِفَ جواب الشرط في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، ودلّ عليه ما بعده من قوله: ﴿فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾، والتقدير: ومَنْ لم يُصدِّق بما أخبر الله به ويُقرُّ بصدق ما جاء به رسوله من الحق من عنده كهؤلاء المُخَلَّفين؛ فهو كافر مُستوجب لسُخط الله و عذابه، لأنّا أعْتَدْنا وهَيَّأنا للكافرين نارًا ملتهبة[3].

دلالة الجزمِ بـ ﴿لَّمْ﴾:

تأكيدُ كفرِ مَن لم يجمعْ بين الإيمانِ بالله والإيمانِ برسولِهِ

لّما كانت ﴿لَّمْ﴾ حَرْفَ نفيٍ وجَزْمٍ وقَلْب، فإنَّها أفادت في سياقِها هذه المعاني جميعَها، فقدْ نفَت إيمانَهم وجزمت بعدمِه تأكيدًا لكفرِهم، وقلبت ما أظهروه بألسنتِهمُ الكاذبةِ من الأعذارِ الواهية، بأنَّه مخالفٌ لما هو في قلوبِهم من الشَّكِّ والنِّفاق، فهي تفيدُ التَّأكيدَ والمبالغةَ في كفرِ مَنْ لم يجمعْ بين الإيمانِ باللّه والإيمانِ برسولِه ﷺ.

معنَى الباءِ ودلالتُها في ﴿بِٱللَّهِ﴾ سرُّ التَّصريحِ بلفظِ الجلالة:

زيادةُ تعظيمِه تعالى في مقامِ الوعيد

الباء في ﴿بِٱللَّهِ﴾ باءُ الإلصاق، وهو أشهر معانيها والمصاحب لها دائمًا، لأن الإيمان إذا لم يكن مُلْصَقًا باللّه وحده، فهو مردودٌ على صاحبه، وقد صرَّحَ النَّظمُ الكريمُ بلفظِ الجلالةِ في قولِه تعالى:

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 18/ 304.
(2) الدّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 239.
(3) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 251.

﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ تعبيرًا بالاسْمِ الأعظم، للزّيادةِ في تعظيمِه ﷻ، وزَرْعِ المهابةِ في القلوب، فإنَّ السّياقَ في مقامِ التَّهديدِ والوعيدِ في إعدادِ النّارِ للكافرين[1]، فقد ظَنّوا أنَّ اللّه يُخلِفُ وعدَه[2]. وفيه أيضًا تفظيعٌ لشأنِ مَن لم يؤمن باللّه.

دلالة العطفِ بالواوِ في ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾:

لَمّا سبقَ في قوله تعالى: ﴿وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ أنَّ ذلك ظنُّهم بأنَّ "اللّه يُخلفُ وعدَه، أو ظنُّهم بأنَّ الرَّسولَ كاذب، جاء بما فيه تهديدٌ ووعيدٌ لهم، فقال: ومَنْ لم يؤمنْ باللّه، ويَظُنَّ به خُلْفًا وبرسولِه كذبًا كما ظننتُم من قبل، فإنّا أعْتدْنا له سعيرًا"[3]. والعطف دالٌّ على ضرورة الإيمان برسوله، وأن الإيمان لا يكون إلا باللّه ورسوله.

كما لا يُظَنُّ باللّه خُلْفًا، لا يُظَنُّ برسوله كذِبًا

سرُّ إضافةِ لفظِ الرَّسولِ إلى ضميرِ الجلالة في قوله: ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾:

أُضيفَ لفظُ (الرَّسولِ) إلى ضميرِ الجلالةِ في قوله تعالى: ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ لأنَّه الحقيقُ بالإضافةِ إليه ﷻ، وأنَّ اللّه أرسله لإظهارِ دينِه، ولو كرِهَ الكافرون والمشركون[4]؛ ففي الإضافة تعظيمٌ لِقَدْرِه ﷺ.

الرَّسولُ هو الحقيقُ بالإضافة إليه ﷻ تشريفًا

معنَى الفاء ودلالتُها في ﴿فَإِنَّآ﴾:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّآ﴾ هي الرّابطةُ لما دلّ على جوابِ الشَّرط، تفيدُ ترتُّبَ الجزاءِ على الفعل، أي: ترتُّبِ دخولِ النّارِ لمن لم يؤمنْ باللّه ورسوله، وهي ربط للمُسبِّب بالسَّبب[5].

الربط بالفاء تقوية لربط السبب بالمسبّب

بلاغة التعبير بالالتفاتِ من الغَيْبَةِ ﴿بِٱللَّهِ﴾ إلى التَّكلُّمِ ﴿فَإِنَّآ﴾:

جاء الالتفاتُ من الغَيْبَة ﴿بِٱللَّهِ﴾ إلى التَّكلُّم ﴿فَإِنَّآ﴾؛ زيادةً في تعظيمِ اللّه، وتحقيرِ شانِئِ الرَّسولِ ﷺ، وتَوْهِيةِ كيدِه[6].

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 18/ 304.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 75.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 75.
(4) البقاعي، نظم الدُّرر: 18/ 304.
(5) البقاعي، نظم الدُّرر: 18/ 304، والصافي، الجدول: 26/ 249.
(6) البقاعي، نظم الدُّرر: 18/ 304.

دلالةُ التعبير بالماضي وإسناده إلى الضمير الدّالّ على التعظيم ﴿أَعْتَدْنَا﴾:

تحقُّقُ إعدادِ النّارِ من لَدُنِ الجبّارِ العظيم

اسْتعمالُ الفعلِ الماضي مُسنَدًا إلى ضميرِ التَّعظيمِ في قوله تعالى: ﴿أَعْتَدْنَا﴾ للدَّلالةِ على تحقُّقِ هذا الإعداد، وعدمِ الخُلْفِ به، مع الإشارةِ إلى أنَّ الَّذي أعدَّ هذا الجزاءَ وهيَّأ ذاك المصيرَ هو اللّه بعظمتِه وعزَّتِه ﷻ.

معنَى اللّام ودلالتها في ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾:

اللام في ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ للملك والاختصاص، وفي ذلك تناسب مع الفعل ﴿أَعْتَدْنَا﴾؛ إذ أُعِدَّت لهم خِصّيصًا، تأكيدًا على الانتقام منهم لعظيم مرتكبهم.

دلالةُ التعبير بالمُظْهَر في موضع المُضمَر ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ مُعرَّفًا مجموعًا:

زيادةُ تقريرِ معنَى مَن لم يؤمنْ باللّه ورسوله

أقام النَّظم الكريم الاسمَ الظّاهر مقامَ الضَّمير في لفظ ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ من قوله تعالى: ﴿أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ تقريعًا لهم وذمًّا باسم الكفر، إذ لم يُكْتَفَ بإضمارهم؛ بل صُرّح بوصفهم القبيح، إعلامًا بأنَّ مَن لم يجمع بين الإيمانِ باللّه والإيمانِ برسوله؛ فهو كافر مُستوجِبٌ السَّعيرَ بكفره، لزيادة تقرير معنَى مَنْ لم يؤمنْ باللّه ورسولِه[1]. وفي إظهارِ (الكافرين) معرَّفًا مجموعًا إفادة التَّعميم.

غرضُ تقديمِ شِبْهِ الجملةِ على المفعول به:

قَدَّمَ شِبْهَ الجملة ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ على المفعول به ﴿سَعِيرًا﴾؛ زيادةً في العناية بتعذيبهم، وتخويفًا لهم من المآل.

الغرض من تنكير المفعول به ﴿سَعِيرًا﴾:

تهويلُ النّارِ وشدَّةُ حرِّها تحريضًا على الإيمان والتَّوبة

تنكيرُ ﴿سَعِيرًا﴾ للتَّهويلِ والتَّعظيم، وبيانِ الشِّدَّة، أي: نارًا شديدةَ الإيقادِ والتَّلَهُّب، فهي عظيمةُ الحرِّ توجبُ الجنونَ وإيقادَ

(1) الزّمخشري، الكشّاف: 4/ 337، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 75، وحقّي، روح البيان: 9/ 28، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 165.

الباطنِ بالجوعِ بحيث لا يشبعُ صاحبُه، والانْتشارَ بكلِّ شرّ[1]، أو لأنَّها نارٌ مخصوصةٌ[2]. وفيه إشارةٌ إلى أنَّها "لا يمكنُ معرفتُها واكْتناهُ كُنهِها[3]، وفي ذلك من التحريض على الإيمان، والدعوة إلى التوبة والإنابة ما لا يخفى على ذي لُبٍّ واعتبار؛ إذ عُرِضَت عاقبة الظَّنِّ الفاسد وما شابهه من المآثم تنبيهًا للقلوب الغافلة، واستنهاضًا للهمم الوانية"[4].

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 18/ 304 - 305.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 159.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 254.
(4) المصعبي، هميان الزاد إلى دار المعاد: 13/ 468.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"